الميثاق

يصدرها حزب الاتحاد الاشتراكي العربي

تعنى بقضايا الفكر والسياسة والثقافة — السنة السادسة عشرة-العدد٤٠٩-الثلاثاء-٢٢ كانون الثاني/January/٢٠١٩ ثمن النسخة ٢٥ ل.س

عدد خاص

كتَّاب وشعراء عرب يردون على أدونيس

أدونيس متقمصاً شخصية الأب المتعالي

د. بارعة القدسي

إشكالات (أدونيسية)

(1)

ليس هذا **كلاما** في الرد على **(أدونيس)**، فليس هذا من شأني بقدر ما أنه من شأن المتخصصين في هذا الشأن. وإنما هو كلام ربما يبدو **مستعادا** من سنوات مضت وانقضت، **احتدمت فيها المعارك الفكرية**، التي تحولت في لحظات معينة إلى معارك يجري فيها **استخدام الرصاص الحي**، وليس **المطاطي**، ليبلغ الأمر تخوم استخدام **الأسلحة الثقيلة** التي لا علاقة لها **بالكلمات**، بقدر ما أن لها علاقة **بالطلقات**، سواء من مسدس تندفع من فوهته **رصاصة** لتستقر في جسد **خصم ذي صفة عسكرية**، لكنه يمثل **حالة سياسية**، أو من **مدرعات** تحكم سيطرتها على مدينة كبيرة، ولنقل إنها **دمشق**، بغرض تحقيق غرض سياسي، **محكوم بقرار من الخارج**، من مثل أن يكون **فصل سورية عن الجمهورية العربية المتحدة**، تحقيقا لمآرب لا صلة لها **بمصالح وطنية**، ولا علاقة لها **بوقائع** صنعتها **الجغرافيا**، وحقائق هي من صنع **التاريخ**.

(2)

ومنذ **البدايات المبكرة**، تناهت إلى مسامعي أحاديث عن **رصاص** فهمت بعد سنوات وسنوات، أنه **استقر في جسد ضابط** أقمنا له من بعد ذلك **تمثالا** في ساحة من ساحات **دمشق**، طوقتها بعد مدة من الزمن مبان وعمارات وحدائق غنّاء، إلى أن صارت حيا من أحياء دمشق، **ذاع صيته وحمل اسم ذلك الضابط**، أو كنيته على الأقل.

وفي خلال دراستي الجامعية، ومن بعدها كذلك، قرأت عن **(أدونيس)**، ثم **قرأت له**، فكانت كتاباته

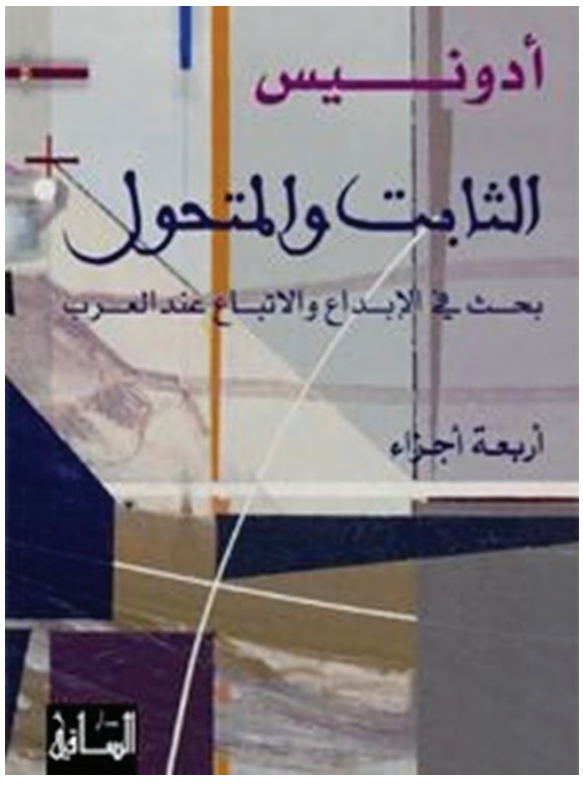

الشعرية **صادمة** من حيث إنها **خارجة عن المألوف**، أما كتاباته النثرية، وأخص منها بالذكر كتابه **(الثابت والمتحول)**، فقد أخذتني إلى **متاهات** من حيث **إثارتها للشك والريبة** بخصوص **تاريخنا وثقافتنا وشعرنا ونثرنا**.

(3)

لكن **أشد ما صدمني** في وقت لاحق لم يمض عليه زمن طويل، هو أن ما قرأته في **(الثابت والمتحول)**، تحوَّل إلى **مادة** يستخدمها بعض الكتاب والمفكرين **وسيلة** لتفسير هذا الذي جرى خلال سنوات ثمان وتسويقه، من **قتل وذبح واغتصاب وانتهاك أعراض ونحر قيم ومبادئ نشأنا عليها**. فكان من شأن ذلك أن يستدعي **تساؤلات** عديدة، وفي المقدمة منها تساؤل يطرح **إشكالات** من دون أن يقدم **إجابات**.

(4)

وحين **عدت إلى تاريخنا**، فإني عدت في الوقت نفسه إلى **تواريخ شعوب أخرى**، ومنها شعوب **أوروبية**، تقاتلت فيما بينها **وتناحرت** على امتداد مئات من السنين، حتى لقد سميت **بعدد السنين التي استغرقتها**، من مثل حرب **المائة سنة**، وحرب **السبعين سنة**، وما إلى ذلك من حروب طاحنة عانت منها شعوب أوروبية بفعل **عوامل دينية أو مذهبية**، الكثرة الكاثرة منها بين **الكاثوليك والبروتستانت**.

(5)

أنتهي من ذلك كله إلى نتيجة مفادها أن **(أدونيس)** ليس في **سيرته الذاتية** ما يثير الإعجاب، سوى **موقفه من الحرب على سورية**.

أما مواقفه **الملتبسة** من **إسرائيل**، ومؤتمرات **السلام**، وندوات **الحوار** مع العدو، فله حديث آخر **لا يتسع له المقام**.

كتّاب وشعراء عرب يردون على أدونيس

(مهيار) الدمشقي أمام الثقافة المغاربية

محمد الغزي

قارن **أدونيس**، في حواره مع الشاعر **عبده وازن**، بين الكتابة **المغاربية** والكتابة **المشرقية** مقارنة ناقدٍ استقرأ خصائص **الكتابتين** واطلع على أهم الأسئلة التي **تنطويان** عليها.

ومن دون مواربة، أقر **أدونيس** بإسهام الكتابة المغاربية في **تحديث الثقافة العربية**، وإرهاف أدواتها الفكرية والإبداعية، بل جنح، في بعض الأحيان، إلى توكيد **تفوق هذه الكتابة**، في بعض المجالات، على **أختها المشرقية**.

وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا إن أدونيس هو أول شاعر كبير يتحدث عن الأدب المغاربي بكل هذا الحب، بكل هذا الاطلاع، بكل هذا الاعتراف.

لكن إقرارنا **بقيمة هذا الحوار** لا يحول دون تقديم بعض الملاحظات **تستدرك** على بعض ما جاء فيه، بل **ربما تكمن قيمة هذا الحوار في الأسئلة التي يثيرها، لا في الأجوبة التي ينطوي عليها**- هذا إذا أقررنا بوجود أجوبة ينطوي عليها هذا الحوار. وقبل إبداء ملاحظاتنا نحب أن نستعرض أهم أراء **أدونيس** التي جاءت في هذا الحوار.

ينفي الشاعر منذ انعطافه على الثقافة المغاربية وجود **وحدة شعرية تجمع بين مختلف الأقطار المغاربية** (فما يكتب في تونس مثلا يتميز عما يكتب في المغرب والجزائر، فهو الأكثر قربا إلى اللغة المشرقية، وما كتب ويكتب باللغة الفرنسية يختلف كليا عما يكتب بهذه اللغة في لبنان) غير أن **أدونيس** سرعان ما يستدرك ليقول (**إن الكتابة المغاربية باللغة الفرنسية أكثر قوة منها باللغة العربية**). ثم يضيف (**لا نجد في الدول المغاربية حتى الآن روائيين أو شعراء باللغة العربية في مستوى كتابها باللغة الفرنسية، كاتب ياسين، محمد ديب أو رشيد بوجدرة أو ياسمينة خضره أو آسيا جبار أو محمد خير الدين أو عبد الكبير الخطيبي**). ثم يلتفت من جديد إلى **الشعر المغاربي** المكتوب باللغة العربية ليقارن بينه وبين **الشعر المشرقي** فيقول (الشعر المغاربي باللغة العربية، وأعني شعر الأجيال الراهنة الشابة، أعمق دلالة وأقل هجسا بالذاتية **(وهما مزيتان)** من شعر الأجيال الراهنة في المشرق العربي). **لكن الثقافة المغاربية ليست ثقافة شعرية فحسب، بل هي ثقافة فكرية (فالفكر في المغرب متمثلا في محمد أركون وعبد الله العروي وهشام جعيط تمثيلا لا حصرا أكثر غنى وعمقا من المشرق العربي).**

> **أخاف أن يكون أدونيس قد صدر في آرائه ومواقفه عن اعتقاد خاطئ ما زال يستبد بعقول بعض المثقفين في المشرق العربي، وهو أن المنطقة المغاربية (منطقة فرانكفونية) وأن أدبها الحقيقي لم يكتب باللغة العربية وإنما كتب باللغة الفرنسية. ففي قوله (إننا لا نجد في الدول المغاربية حتى الآن روائيين وشعراء باللغة العربية في مستوى كتابها باللغة الفرنسية) تعميم مخل لا يقره واقع الثقافة المغاربية.**

لكن الإبداعية المغاربية تتجلى أقوى ما تتجلى، في نظر **أدونيس**، في الفنون التشكيلية. وفي هذا السياق يتساءل (**ما يكون في هذه الظاهرة دور التوترات والصراعات اللاواعية والواعية التي تعيشها لغات المغرب العربي غير التشكيلية: العربية الفصحى، العربية الدارجة، الأمازيغية، اللغة الفرنسية**).

تلك هي الآراء التي تضمنها حوار **أدونيس** حول الثقافة المغاربية وهي، على أهميتها، **وربما لأهميتها** تستدعي منا الملاحظات الآتية:

١- ثمة، في الحوار **احتفاء كبير بالأدب المكتوب بالفرنسية** في المغرب العربي وأخاف أن يكون **أدونيس** قد صدر في آرائه ومواقفه عن اعتقاد خاطئ ما زال **يستبد بعقول بعض المثقفين في المشرق العربي**، وهو أن المنطقة المغاربية **(منطقة فرانكفونية)** وأن أدبها الحقيقي لم يكتب باللغة العربية وإنما كتب باللغة الفرنسية. ففي قوله **(إننا لا نجد في الدول المغاربية حتى الآن روائيين وشعراء باللغة العربية في مستوى كتابها باللغة الفرنسية)** تعميم مخل لا يقره واقع الثقافة المغاربية.

لا أريد، في هذا السياق، أن أقارع أسماء بأسماء. (الأسماء التي ذكرها أدونيس بأسماء أدباء ومبدعين مغاربيين يكتبون باللغة العربية) كما لا أريد أن **أقارع نصوصا بنصوص**، ولكنني أكتفي بالقول إن الأدباء المغاربيين المعاصرين **أنجزوا أعمالا إبداعية باللغة العربية لا تقل بهاء وغنى عن الأعمال التي أنجزها الأدباء المعاصرون الذين يكتبون باللغة الفرنسية.**

-2 نحن لا ننكر أهمية الأدب المغاربي المكتوب باللغة الفرنسية ولا (قوته) على حد عبارة **أدونيس**، لكن هذا الأدب، بات **ينتمي، في مجمله، إلى مرحلة تاريخية آفلة**، أو هي بصدد الأفول. ما يمثل اللحظة الراهنة، ويفصح عن عميق أسئلتها هو الأدب المكتوب باللغة العربية. ويكفي أن يتأمل **أدونيس** المشهد الثقافي المغاربي حتى يقف على **تقهقر** الأدب المكتوب بالفرنسية وتراجعه. **أسباب عديدة تسوغ هذا التراجع وذلك التقهقر بعضها سياسي/ اجتماعي/ وبعضها ثقافي تعليمي.**

٣- إنه لأمر ذو دلالة أن **يتحول** الكثير من الأدباء والمفكرين المغاربيين من **الكتابة باللغة الفرنسية إلى الكتابة باللغة العربية**، وأن تظل كتاباتهم مع ذلك لافتة وقوية من بين هؤلاء نذكر: عبد الفتاح كليطو، هشام جعيط، عبد الله العروي.

٤- إذا جاز لنا أن نتحدث عن الظاهرة الإبداعية المغاربية بشكلها الأكثر خصوصية على حد تعبير **أدونيس**، فينبغي في اعتقادي الحديث عن الظاهرة المسرحية.

فالمسرح في البلاد المغاربية بعامة، وفي تونس على وجه الخصوص، فتح آفاقا جديدة في اللغة المسرحية العربية وأنجز خطابا دراميا حديثا في أدواته وفي أسئلته وفي رؤاه.

هذه بعض الملاحظات أردنا أن نبديها **لاستدراك ما جاء في هذا الحوار**، لكن هذا **الاستدراك** لا ينبغي أن يحجب عنا قيمته، فهو من قبيل الحوارات التي تضيء وتثير: **تضيء جوانب من شخصية أدونيس وأدبه، وتثير المزيد من الحيرة، المزيد من الأسئلة.**

المدير المسؤول المشرف على التحرير: **صفوان قدسي**

أمين التحرير: **ماجدة جبور** | الإخراج الفني: **لارا توما**

الإدارة والتحرير: دمشق - حي الروضة - هاتف: ٣٣١٥٤٠٣ | فاكس: ٣٣١٥٤٠٢

الاشتراك السنوي: للأفراد ١٠٠٠ ل.س | للمؤسسات ٣٠٠٠ ل.س | **تصدر مرة كل أسبوعين مؤقتاً**

فيسبوك: **حزب الاتحاد الاشتراكي العربي** | **الموقع الالكتروني**: www.asuparty.org | الإيميل: info@asuparty.org

الميثاق **فيسبوك**: الجبهة الوطنية التقدمية | **الموقع الالكتروني**: www.Pnf.org.sy

كتّاب وشعراء عرب يردون على أدونيس

أهكذا ينكر شعراء الحداثة العربية؟

كريم عبد السلام

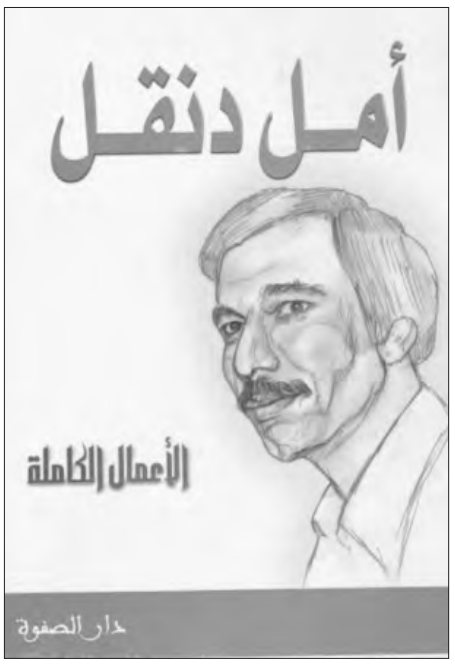

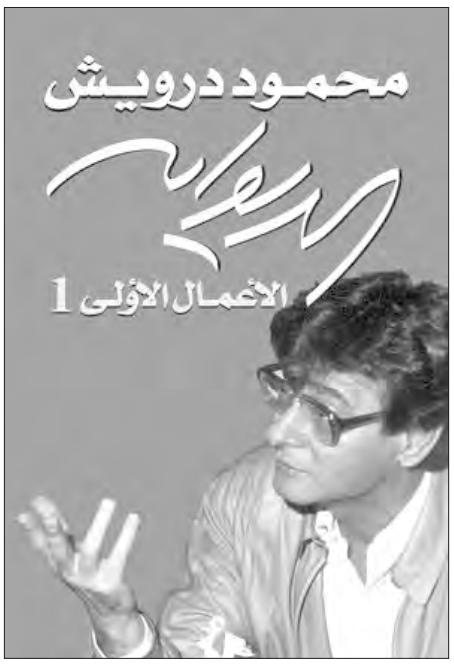

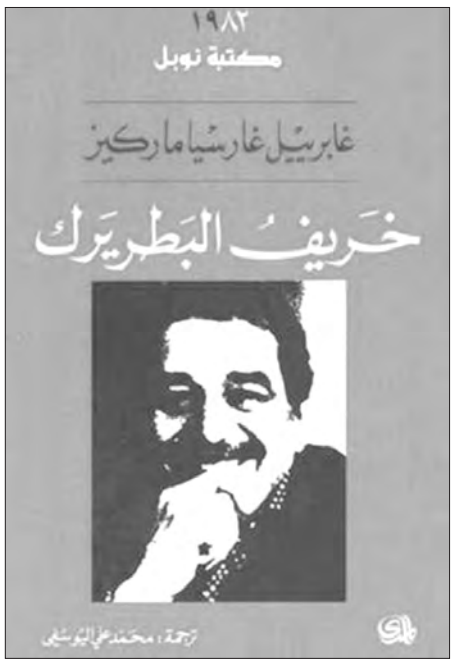

كالعادة ومع كل حوار يجرى مع **أدونيس** يثار الكثير من **الغبار** ويشتعل **السجال** بين الشعراء والمثقفين حول **أحكامه وآرائه وتقييمه لسابقيه ومجايليه والتالين له من السياسيين والشعراء العرب**. ولعل ذلك يرجع إلى جرأة **أدونيس** وامتلاكه بالقطع لما يقوله ويضيفه من رأي، وليس كما يقول أحد أصدقائي من الشعراء **الموتورين** من أنه مثل **الممثلين المتقدمين** في العمر **لا يستطيعون الابتعاد عن الأضواء**، حتى إذا ما **انحسرت** عنهم سارعوا هم إلى **افتعال الإثارة** حتى تلتفت إليهم الميكروفونات والكاميرات وصفحات الصحف التي باتت **تراهم خارج الفعل والتأثير**.

صديقي الشاعر الموتور، واجه أسئلتي على أجوبة **أدونيس**، باستحضار صورة **البطريرك الطاعن في السن** الذي تتهاوى السلطة من بين يديه في رائعة ماركيز (**خريف البطريرك**)، وكيف قضى لحظاته الأخيرة هائما بين غرف قصره **المهجور**، هاتفا بشعاره الخالد: (**يعيش أنا ويموت ضحاياي**)، وكلما نظر إلى مرآة من المرايا الكثيرة التي تملأ القصر، **اعتقد بالخلود**، ورأى لحظة ذهبية ماضية عندما كان قادرا على **التنكيل بضحاياه** ورسم الأعوان والمريدين ومسح **الكهنة** والوكلاء في الأمصار. لكني تجاهلت تلميحاته الحاقدة وبدأت في ترتيب أسئلتي لصاحب (**مفرد بصيغة الجمع**).

أول ملاحظاتي على أجوبة **أدونيس** تتعلق **بموقفه من الفكر القومي**، فقد سئل: **هل سجنت بتهمة سياسية؟**. فأجاب: (**نعم، ولكن من دون جرم، إلا إذا كان يُعد انتمائي آنذاك إلى الحزب السوري القومي جرما**). وعندما سئل ثانية **ألم تجذبك فكرة القومية العربية؟**. أجاب: (**لم تجذبني إطلاقا**). هذا في الوقت الذي قضى فيه ثلاثة عشر عاما وهو عضو فاعل في الحزب القومي السوري **كما كان شاعره الرسمي**، ولعل قصيدته المشهورة (**قالت الأرض**) في نسختها الأولى في تقديم سعيد تقي الدين تكشف عمق هذا الالتزام الحزبي، الأمر الذي يدفعنا إلى التساؤل: أكانت تلك الثلاثة عشر عاما من فتوة أدونيس وشبابه في الحزب القومي السوري كذبا وادعاء واندراجا كيفما اتفق تحت هذا الشعار أو ذاك، وتمجيدا للزعيم أو القائد الملهم أنطون سعادة، بحسب قصيدته الحزبية الموجهة: (قيل: كون يُبنى، فقلت: بلاد جُمعت كلها فكانت سعادة).

الملاحظة الثانية تتعلق بعلاقة **أدونيس** بالشعراء البارزين في جيله أو محيطه الزمني وفق قوسي (**الظهور والإنكار**)، إذ يعمد **أدونيس** إلى **تشويه معظم الشعراء العرب** الذين جايلوه تقريبا، **سعدي يوسف** مجرد متأثر باليوناني ريتسوس الذي كان لأدونيس أن يتعرف إليه ويزوره في بيته في أثينا ويدهشنا كيف كان يكتب قصائده على أحجار مصقولة. **توفيق صايغ** الرائد الأول والأكثر إدهاشا على صعيد قصيدة النثر، يصبح (**حالة خاصة في كتابة الشعر نثرا، فهو، فنيا، لا يصدرُ عن جمالية اللغة العربية وشعريتها، بقدر ما يصدر عن جمالية اللغة الإنكليزية وشعريتها. وقد يسمح ذلك بالقول إن لغته الشعرية بِنيَةٌ إنكليزية بألفاظ عربية**).

ومحمود درويش الشاعر المجيد فنيا ولغويا وأحد الذين ساهموا فعلا في الحفاظ على القصيدة على ألسنة العرب غير المثقفين فلسطينيين وغير فلسطينيين، مثلما استطاع **اجتراح أسلوبية شعرية تقوم على البساطة العميقة والعذبة**، تربط بين **التراث والحاضر** عبر جسر من العذوبة والغنائية والاختزالات العبقرية الشعبية، التي تستمد قوتها من استعمالاتها الدائمة الحاضرة وقدرة الفئات المختلفة على استقبالها في سياقها الدرويشي **الغنائي والتراجيدي** في الوقت نفسه. **درويش** يصبح شعره على لسان أدونيس: (**شعره لا يصدر عن تجربة ذاتية اختراقية تساؤلية، وإنما يصدر بالأحرى، عن موقف ثقافي جمعي. فشعره، على هذا المستوى، كمثل حياته العامة شعر مصالحة. لم يُصارع في حياته أي نوع من أنواع الطغيان الذي تحفل به الحياة العربية، بل كان صديقا لجميع الأنظمة، بدءا من نظام صدام حسين. وكثيرٌ منها كان يستقبله بوصفه رمزا شعريا وطنيا، وكان يتقبل أوسمتها. ولم يصارع في شعره كذلك أية مشكلة، صراعا ذاتيا فنيا). أي ظلم فني ممن يعرف أكثر من غيره قيمة تجربة درويش، وأي رغبة في التنكيل والإزاحة تصل ذروتها في محاولة بائسة لتفسير الإجماع الذي يحظى به درويش من الشعراء والمثقفين والبسطاء باعتباره اصطناعا يحسب ضده لا معه**. الإجماع يشهد، شعريا، لا معه بل ضده. لسبب أساس: ليس في الفن، والشعر بخاصة، إجماع. كل إجماع على ما هو ذاتي يتم بعناصر ليست من داخله، بل من خارجه، يتم بتلفيق ما. كل إجماع اصطناع)، أي بؤس لجدل فارغ ينزع إلى لي أعناق المفاهيم برطانة لا أمامها ولا وراءها!.

أمل دنقل الشاعر الذي استطاع أن يكون حلقة تطور أساسية بين جيل الرواد والشعراء الذين جاؤوا من بعده وتمكن من **إعادة تعريف العلاقة بين الشعري والتراثي والأسطوري** بعد أن أوصلها النمط الأدونيسي إلى **أفق مسدود**، والذي استطاع فتح القصيدة أمام إمكانات اللحظات الشخصية الصغيرة في حياة الشاعر، بعد أن كانت وقفا على **التهويمات والتداعيات اللغوية والعروضية**، يصبح على لسان **أدونيس**: (**الرؤية التي تقود هذا المُنجز كانت غالبا وظيفية- سياسية. وهذا ما جعل شعره وصفا للواقع يهجس بإصلاحه أو تغييره، أي جعل منه إعادة لإنتاج الواقع بعناصره ذاتها، ولكن مهذبة، مُنقحة**). وقد تجاهل **أدونيس** أعمالا بارزة الأصالة مثل (**العهد الآتي**)، و(**أوراق الغرفة٨**). العجيب أن كل الأسماء التي **جحدها أدونيس وأنكرها** محاولا استخدام عدته (**المفاهيمية**) واللغوية **لتشويهها**، ظهرت على منجزه وحضوره، **وباتت الأقرب إلى وجدان أو ذائقة أجيال طالعة**، تحكمها عمليات معقدة من **التصفية والفرز** تقوم بها **الذائقة الجمعية**، فتطمس مالا يكمل الوجدان الجمعي وتحفظ ما يعمل على إغنائه.

كلما أوغل أدونيس في إنكار الشعراء الأبقى، تراجع منجزه الشعري في أذهان الأجيال الطالعة من الشعراء والمثقفين، في جدلية من الظهور والإنكار يظل أدونيس طرفا فيها وتستحق حيزا واستبصارا منفصلا، مثلما الحال مع الأسماء الكثيرة التي لم يطرح عليها عباءته وظله: **وديع سعادة، سركون بولص، محمد صالح، أمجد ناصر، بسام حجار، سيف الرحبي، منذر مصري وغيرهم**.

أما الملاحظة الأخيرة في هذه العجالة فهي تتعلق بنظرة **أدونيس** غير المحيطة بقوس الحداثة المصري وتحولاتها العارمة على الصعيد الإبداعي خلال العقدين الأخيرين، عندما انطلقت أشكال من القول الشعري والنثري **تمثل قطيعة مع كل ما هو غائم وتهويمي في طريقة القول**، مثلما تمثل قطيعة مع كل ما هو ظاهري **زخرفي قشري في العلاقة مع اللغة أداة الوعي والقول**، وهي في ذلك تقيم جسورها مع أشكال من الفنون البصرية والحركية والسماعية لتشكل خريطة مختلفة للإبداع الحداثي المتقدم، تصل ما تقطع في أربعينات القرن الماضي الزاهية على أيدي رواد مثل بدر الديب وبشر فارس وإبراهيم شكرالله. وبينما يفتقد **أدونيس** الإحاطة بهذا القوس الحداثي ذي السمات الخاصة بين الحداثات العربية، **يطلق أحكاما نهائية** بصددها، ويصنف **أعلامها والبارزين فيها**، من دون سند إلا **صداقاته لبعض الكتاب والفنانين التابعين**.

حوارات **أدونيس** الخمسة في (الحياة) تستحق قراءة موسعة، إنطلاقا من عبارته المفتاحية (**أعتقد أنني لم أقرأ حتى الآن القراءة اللازمة خارج السياق الثقافي السائد. في حين أنني يجب أن أقرأ عكسيا**).

كتّاب وشعراء عرب يردون على أدونيس

رجاء وأدونيس وجدلية (العروبة) و (الشعوبية)

حلمي محمد القاعود

أدونيس

رجاء النقاش

عقب رحيل (**رجاء النقاش**) (1934- 2008م)، استعاد بعض الكتاب خبر الخصومة الفكرية بينه وبين الشاعر السوري المعروف (**أدونيس**) (واسمه الأصلي **علي أحمد سعيد أسبر**)، وذلك للكشف عن نبل (رجاء) وتسامحه حين كان مديرا لمجلة (المصور)، وكلف (أحمد أبو كف) لإجراء حوار مع (**أدونيس**)، وحين تردد الأخير في الموافقة على إجراء الحوار، خشية أن يكون طلب الحوار بدافع من المحرر، قد يحجبه رجاء عن النشر، **أقسم أبو كف لأدونيس أن (رجاء) هو الذي وجهه لإجراء الحوار**.

وبدا أن كثيرا من القراء، وخاصة من الأجيال الجديدة، لا يعلمون شيئا عن هذه الخصومة. **وهي على كل حال، ليست خصومة شخصية تخص الرجلين أو واحد منهما، ولكنها خصومة في سياق عام وقومي، يتعلق بالأمة كلها**، وقد استثمر (رجاء) ما أثير في مجلة (الرسالة)- الإصدار الثاني- عام 1964، وراح بحسه الصحفي والفكري يناقش قضية (الشعوبية) في صراعها مع العروبة، وكأن من أثاروا المسألة آنئذ، كانوا يستشعرون ما حدث للأمة بعدئذ من متاعب وآلام ما زالت قائمة حتى اليوم.

ويأتي سياق القضية في إطار وعي (**رجاء النقاش**) بالقضايا العامة، منذ شبابه الباكر، وارتباطه بأستاذه الناقد الراحل (**محمد مندور**) (1908- 1965)، فقد تأثر به إلى حد أن سجل عنه رسالة ماجستير في قسم اللغة العربية بكلية الآداب، جامعة القاهرة، وقد اطلعت على السجل بنفسي حين ذهبت إلى هناك كي أسجل رسالتي للماجستير في دار العلوم، وأحصل من آداب القاهرة على شهادة تفيد بأن أحدا فيها لم يسجل موضوعي من قبل.

المفارقة أن (**رجاء النقاش**)، لم يكمل رسالته عن **مندور**، فقد شغلته الصحافة تماما عن العمل فيها، وأظن أنه لولا كتابته في الصحف والمجلات، ما ظهر له كتاب، حيث جاء معظمها تجميعا لمقالاته التي كانت تفرضها طبيعة الإصدار الصحفي، وارتباطه بأوقات محددة.

كان رجاء مشغولا بالأدب منذ بداياته، فتعرف على الحياة الأدبية، ووعى تياراتها ونشاطاتها، ولعل أبرز نشاطاته بعد أن عمل في (**روز اليوسف**)، عام 1959، كان تحريره لركن الأدب أو أخبار الأدب الذي كان يظهر أسبوعيا في جريدة (**الأخبار**)، عقب أن تخلى عنه (**أنيس منصور**)، وكان يشارك بتناول الكتب في بعض المجلات الأخرى، ثم كان عمله رئيسا لتحرير (**الهلال**) في الفترة من 1969 إلى 1971، فرصة نادرة لشاب مثله في الثلاثينيات، كي يقود هذه **المجلة العريقة**، ويستوعب على صفحاتها إنتاج معظم الأدباء والتيارات الأدبية الموجودة في الساحة، **ويثير من القضايا الثقافية ما يشد القراء والأدباء إلى المتابعة والمشاركة**، وقد كرر تجربة (**الهلال**) في مجلة (**الإذاعة والتلفزيون**) حيث تحولت من مجلة تعنى بأخبار الفن وأهله بالدرجة الأولى إلى مجلة ثقافية عامة **تستقطب الأدباء والمفكرين في مصر وخارجها**، وتقدم ما يمكن وصفه بالثقافة الثقيلة.

لقد كان الأدب والفكر الجاد، هاجسه في كل موقع حل به صحفيا أو أدبيا، وكانت ميزة (**رجاء النقاش**) أنه قرأ الثقافة التراثية إلى جانب الثقافة الوافدة، وتأثر بأعلام العصر في مصر والعالم العربي، وتابع الحركة الأدبية في أركان البلاد العربية الأربعة، وعرف كثيرا من الكتاب الرواد وكتاب جيله، ومن جاء بعدهم، **وكانت لديه قابلية التعرف على الآخرين، وإقامة العلاقات الإنسانية مع المخالفين فكريا وثقافيا، والتعبير عن وجهة نظره في أسلوب راق، بعيد عن الترخص والابتذال والإساءة**. ولعل معركته مع (**العقاد**) الجبار، على صفحات الأخبار، مع شدتها وضراوتها، كانت نموذجا لذلك، فلم يسف أو يهبط، ولكنه زهو الشاب المتيم بأستاذه محمد مندور- المختلف مع العقاد سلفا- كان حريصا على الاعتراف بقيمة العقاد وتاريخه الفكري، وخرج من المعركة، وخرج معه الناس، بفوائد ملموسة، لعلها شجعته فيما بعد على إصدار كتابه عن العقاد (بين اليمين واليسار).

ثمة ميزة مهمة لدى (رجاء النقاش) وهي وضوح أفكاره، وبساطة أسلوبه التي اكتسبها من العمل الصحفي، وقد كان ذلك مسوغا كي يتقبل القراء ما يريد قوله حول الأعمال الأدبية والفكرية، التي يتناولها، بعيدا عن التقعر والركاكة والضعف والغموض، مما نطالعه لدى عديد من النقاد، **الذين يفترض فيهم أن يضيئوا النصوص، ويحكموا عليها، فإذا بهم يطفئونها ويعتمون عليها مع أنهم كانوا يسعون لتقريظها والإشادة بها**.

> **من اللافت أن (رجاء النقاش) لم يمت، إلا بعد مشاهدة كيانات انفصالية على أرض الواقع، تملك قوة عسكرية وسياسية واقتصادية، ويمولها الغرب الاستعماري علنا، ويدافع عنها!.**

لم تتح لي الفرصة للتفاعل مع (**رجاء النقاش**)، فقد قابلته مرة واحدة، لعلها في أوائل السبعينيات بغرفة (**فكري أباظة**) المستطيلة أقصى الطبقة الثانية من (**دار الهلال**)، ولسوء الحظ كان مكتبه يومها في هذه الغرفة التاريخية مكتظا بأصدقائه وأصحابه، ووجدتني وأنا الفلاح البسيط الذي ينفر من الزحام والضجيج، أستأذن لفرصة أخرى لم تأت أبدا، **ولكن الرجل كان يتابع ما أكتب**- على تواضعه- ويهتم به بصورة ما.

وفي كل الأحوال، فإن ما جعل (**رجاء النقاش**) أكثر حضورا في الواقع الأدبي إلى جانب علاقاته ومواهبه، **هو قراءته الدائمة، واطلاعه المستمر على ما يظهر من إنتاج أدبي، من خلال حس قومي عال، موال للعروبة ومعطياتها**، على العكس من بعض أقرانه، الذين شطحت بهم انتماءاتهم- وخاصة اليسار المتطرف- إلى آفاق بعيدة وغريبة. أما ولاؤه للعروبة، فقد كان حافزه لمواجهة (**أدونيس**) والتصدي لمضمون شعره دون أن ينكر موهبته الفنية، ويعود بعد ربع قرن تقريبا، ليجدد المواجهة ويستدعي المآخذ التي يأخذها على (أدونيس) وفكره واتجاهه.

كان الحس المهني (الصحفي) لدى (**رجاء النقاش**) عاليا، وكان تقديمه للموضوعات التي ينشرها يجذب القراء دون أن يقع في شرك **الإثارة أو المبالغة**، ولهذا **كان تعامله مع موضوع (أدونيس) حافلا بالمهنية** والذكاء، خاصة أنه تناول الأمر في حينه بصحيفة (أخبار اليوم) عام 1964، ونشر مقالاته مجموعة ضمن كتاب له بعنوان (**أدب وعروبة وحرية**)، صدر بدون تاريخ في العام التالي تقريبا.

وقد طرح موضوع (**أدونيس وآخرين**) على صفحات مجلة (الرسالة) تحت عنوان (شعراء الرفض)، **ولم يكن المقصود رفض النظام السياسي أو الاقتصادي أو احتلال فلسطين وجنوب اليمن مثلا، ولكنه كان رفضا للعروبة، وكل ما ترمز إليه**، واستدعاء لفكر شعوبي قديم، يقوم على التمايز العنصري والحضاري، وقد وظف (**أدونيس**) بصورة خاصة، شعره للتعبير عن رؤيته الشعوبية، **والزراية بالفكرة العربية والانتماء العربي**، تنبه إلى المسألة كُتّاب (**الرسالة**) آنئذ، في الأعداد التي ظهرت في صيف 1946، وما بعده، وكان الشاعر (عبده بدوي) أول من لاحظ اهتمام (أدونيس) بالشاعر القديم (**مهيار الديلمي**)، وهو من أصل فارسي.

وظهرت لديه نزعة عنصرية يفاخر بها من خلال الفرس وتميزهم على العرب وغيرهم، لذا سمى (أدونيس) نفسه أو ديوانه باسم (**مهيار الدمشقي**)، ليكون قناعه أو لسانه الذي ينطق به تعبيرا عما في نفسه، وعما يأمله، ومنه التذكر التالي شعرا **حيث ينهال على وطنه:**

تزيني بالرمل والذئاب
يا امرأة الريح الدمشقية
كلنا في بلادي نصلي، كلنا نمسح الأحذية
يا امرأة الآلام والصوان، يا أخت قاسيون
يا وطنا مصمغا مكسور، يسير مشلول الخطى قربي
هربت مدينتنا
والرفض لؤلؤة مكسرة
ترسو بقاياها على سفني
والرفض حطاب يعيش على وجهي
يلملمني ويشعلني
والرفض أبعاد تشتتني
فأرى دمي وأرى وراء دمي
إنهم أسلموا لحمهم للصخور.

ويرصد (عبده بدوي) ما يكتبه (أدونيس) استنجادا ببعض الشعراء الشعوبيين من أمثال (أبي نواس) و(بشار) ورثاء للأيام الحاضرة **(الستينيات والوحدة العربية)**، حيث يراها تغص بعربات النفي، وبالتاريخ العربي المضمخ بمسك العوانس والأرامل والعائدات من الحج، ويرى سورية صارت امرأة محمومة وجسرا للملذات يعبره (الفراعنة) وتصفق لهم حشود الرمل **(يقصد العرب المتحمسين للوحدة)**، ويقول: **(حيث يبدأ الفراعنة يأكل الناس بعضهم بعضا وتنتهي الكلمة، وحيث يبدأ الفراعنة أحمل كتبي وأمضي. أترك ورائي أصدقائي قضبان الحديد والسجون. وأترك بلادي لأولئك الرواقيين المجانين، ودائما يا عصر الذهاب في بلادي)**، ثم يكتب **رسالة البيع للعروبة** قائلا: (لفيل أعمى كتبنا رسالة البيع، رجل يتبرك بخف الوالي، رجل يسقط شقين مقطوعا بالصراط، رجل يمشي بساقين خيطين، رجل يرسم وجهه بحليب ناقته، رجل يعرف أمه في ولائم الملك، رجل يرقد مع زوجته تحت عباءة الأمير في حرير التسري والرعب، (الرمل) يمحو مناراتنا، والشمس تهترئ في تجاعيد أيدينا، آه يا بلادي يا جلد الحرباء، هوذا سيدك يا خادمة، هاتي له قهوة عدن، هيئي سريره، وأين أنت يا رعد، يا رسول الطوفان؟.).

لقد احتفظ (مهيار الديلمي) بنار المجوسية في صدره وبكراهيته للعرب، ورفع (مهيار الدمشقي) راية **رفضه لكل ما هو عربي**، وكل ما هو حتمي وضروري في حياتنا المعاصرة، كما يقول عبده بدوي، ومن خلال (النار المضرمة) من أول عهد الخوارج والتي أكلت قلب مهيار القديم ومهيار الجديد. تسير العروبة دون أن تقتص من كل منهما، بل إنها تبتسم في وجهيهما الحاقدين، ولا تصادر حتى متعة (لعبهما بالنار

الاستعمار لعب على وتر الأقليات والطوائف، ليشن حربا ضارية يسميها (حرب إبادة أدبية وفكرية ضد الأدب العربي والفكر العربي).

المشبوهة)، **فالتاريخ الأدبي هو الكفيل بالحساب، وإظهار الدوافع، وإسقاط الأقنعة.**

ويعالج (**رجاء النقاش**) المسألة بالاقتراب من التاريخ أكثر من الشعر، فيستعيد تاريخ القوميين السوريين الذين انتسب إليهم (**أدونيس**) سياسيا، ويشير (النقاش) إلى أن **الاستعمار لعب على وتر الأقليات والطوائف**، ليشن حربا ضارية يسميها (حرب إبادة أدبية وفكرية ضد الأدب العربي والفكر العربي)، ولذا يرى النقاش أن حركة القوميين السوريين لم تكن سياسية فقط، بل كانت منذ البداية حركة واسعة **تهدف إلى السيطرة على العقول بأوسع صورة ممكنة**. وقد قدر لهذه الحركة أن تبدأ على يد زعيم مندفع، يملك قدرا كبيرا من الذكاء **والكراهية المتأصلة للقومية العربية والوحدة العربية**، ذلك هو (**أنطون سعادة**).

كانت أهداف (أنطون سعادة) تتركز في ثلاث نقاط، تعمل حركته على تحقيقها، وهي:

1- خلق (الفردوس المفقود) الذي يحبه ويعشقه القوميون- السوريون، ويعملون على إعادته وتحقيقه في الواقع وهو (سورية الكبرى) التي عدّها امتدادا للحضارة الفينيقية التي ظهرت في سورية، ثم في شمال أفريقيا قبل الميلاد بثلاثمائة سنة تقريبا. وسورية الكبرى في نظر (سعادة) تعني إعادة مجد الفينيقيين وحضارتهم، وبعث العظمة الفينيقية والسيادة الفينيقية على البحر المتوسط. إذا سورية الكبرى أو (فينيقيا) الجديدة، هي الفردوس المفقود، وهي الحلم الضائع، وهي الأمل بالنسبة للقوميين

السوريين.

2- خلق رمز تاريخي للحركة يتمثل في القائد الفينيقي السوري القديم (هانيبال) الذي ولد في شمال أفريقيا ومات في سورية، بعد أن دخل في حروب طويلة مع الرومان في الفترة بين 264 و 202ق. م، وقد وصلت جيوشه إلى أبواب روما، واستولت على كل شمال إيطاليا، وإن كانت الحرب انتهت بسحق (هانيبال) وهزيمته.

3- إحياء أساطير قديمة تساعد الحركة وترمز إليها وتدل على لونها وشخصيتها الخاصة، وقد بعث أساطير بابلية وآشورية، ودعا إلى استخدامها في الأدب القومي السوري، وفي مقدمتها: تموز، وعشتار، وأدونيس، وكل منها يرمز إلى جانب في الحياة، وكان سعادة يهدف من وراء هذه الأساطير إلى تقديم أدب خاص يميز القوميين السوريين.

وقد اختار سعادة لأدونيس اسم الأسطورة التي تقول إنه ثمرة لعلاقة آثمة بين الملك القديم (ثياس) وابنته (ميرها)، وقد تحولت (ميرها) عقابا لها على خطيئتها إلى شجرة، خرج من جوفها (أدونيس)، رمزا للحياة الجديدة الخالية من الإثم والرذيلة.

ويجتهد (رجاء) في دحض فكرة القوميين السوريين، على أساس أن **العرب حصيلة امتزاج حضاري عميق التقت فيه حضارات قديمة كانت موجودة في المنطقة، ثم ذابت وانصهرت ليتكون منها ما يسمى بالحضارة العربية**، وانتهى هذا الانصهار الذي جرى للفينيقيين والفراعنة والبابليين والآشوريين والعرب القدماء إلى خلق شعب عربي (واحد) تحكمه صفات أساسية مشتركة. ولو اتجهت الشعوب المعاصرة إلى وضعها منذ ألفي سنة، لما أصبح هناك شعب واحد من شعوب العالم المعاصر مستحقا للبقاء إلى اليوم.

* * *

ولكن القوميين السوريين يجدون **الحضارة الفينيقية** التي انبثقت من سورية، ثم **يرفضون الاعتراف بالحضارة العربية وقيمة الحضارة العربية.**

والتاريخ يقول: إن العرب الأمويين الذين خرجوا من سورية بالذات، هم الذين أقاموا في شمال أفريقيا وإسبانيا حضارة تفوق حضارة الفينيقيين الروحية والمادية، (يقصد الحضارة الإسلامية).

ويقف (رجاء النقاش) من الأساطير القديمة موقفا متسامحا شريطة ألا تستخدم لدعم أفكار شعوبية تقف في وجه الفكرة العربية. وأي عربي مخلص لعروبته لا يجد ما يجرحه، في استخدام الأساطير (الفرعونية) مثل إيزيس وأوزيريس، فذلك حق للعرب قبل أن يكون حقا لغيرهم. والبابليون والآشوريون عاشوا في العراق، والعراق جزء من صميم الوطن العربي اليوم، والفراعنة عاشوا في مصر، ومصر من صميم الوطن العربي اليوم.

ويستخدم القوميون السوريون المغالطات المقصودة التي تهدف إلى خلق فكرة مغرية يمكن لصغار النفوس وصغار العقول أن يلتفوا حولها بحماسة وقوة لتخريج عناصر **تحارب الفكرة العربية من داخل الوطن العربي**، وتبعث الأقليات الفكرية والدينية العنصرية الأخرى في الوطن العربي (الفرعونية في مصر، الكردية في العراق، البربرية في المغرب، قبائل الجنوب في السودان)، لتضعف الوطن العربي وتمزقه. ومن اللافت أن (رجاء النقاش) لم يمت، إلا بعد مشاهدة كيانات انفصالية على أرض الواقع، تملك قوة عسكرية وسياسية واقتصادية، ويمولها الغرب الاستعماري علنا، ويدافع عنها!.

(أمير شعراء القوميين السوريين) هكذا يسمي (رجاء النقاش) الشاعر أدونيس، ويشير إلى هروبه من سورية، واستقراره في لبنان، بعد فترات قضاها في باريس، ليكون مديرا **لمجلة (شعر)** التي كانت **تمولها المنظمة العالمية لحرية الثقافة، وهي منظمة أثير حولها كثير من اللغط، بسبب دور المخابرات الأمريكية المركزية في إنشائها، وقيامها بإصدار بعض المجلات المعادية للثقافة العربية**، ومنها مجلة **(حوار)** التي كانت تدفع مكافآت طائلة، **وانصرف عنها كثير من الكتاب بعد انكشاف علاقتها المريبة بالمخابرات الأمريكية المركزية، كما رفض (يوسف إدريس) جائزتها الممنوحة له، وقد عوضه عنها في حينه الرئيس عبد الناصر، بمثل قيمتها، وحقق له الرفض شهرة عريضة.**

ما جعل (رجاء النقاش) أكثر حضورا في الواقع الأدبي إلى جانب علاقاته ومواهبه، هو قراءته الدائمة، واطلاعه المستمر على ما يظهر من إنتاج أدبي، من خلال حس قومي عال، موال للعروبة ومعطياتها، على العكس من بعض أقرانه، الذين شطحت بهم انتماءاتهم- وخاصة اليسار المتطرف- إلى آفاق بعيدة وغريبة. ولاؤه للعروبة، كان حافزه لمواجهة (أدونيس) والتصدي لمضمون شعره دون أن ينكر موهبته الفنية، ويعود بعد ربع قرن تقريبا، ليجدد المواجهة ويستدعي المآخذ التي يأخذها على (أدونيس) وفكره واتجاهه.

لم يكن (أدونيس) قد أصدر مجلته المعروفة **(مواقف)** بعد. فقد أصدرها عقب الهزيمة **لتتبنى موقفا معاديا للإسلام والعروبة والتاريخ العربي جميعا**، وكانت ملتقى القوميين السوريين، واليساريين على اختلاف توجهاتهم. ولكن (رجاء) يشير إلى أول قصيدة لأدونيس نشرت في مجلة (الرسالة الجديدة) التي صدرت في الخمسينيات من القرن الماضي، وكان يرأس تحريرها **(يوسف السباعي)**، ويشيد (رجاء) بهذه القصيدة لأنها تكشف عن (شاعر موهوب له طعم ولون وشخصية خاصة)، ثم يشير إلى أنه تتبع إنتاجه، فوجد أن الاتهام الموجه إليه بأنه قومي سوري صحيح، لأنه شاعر القوميين السوريين الكبير. وقد قرّبه (أنطون سعادة) زعيم الحركة القومية السورية، بعد أن وجده شابا ذكيا وشاعرا موهوبا، لأن سعادة كان يعلم تمام العلم أن الفن عموما، والشعر خصوصا، من أهم أسلحة الدعاية السياسية، وأنه سند كبير لنشر أية فكرة من الأفكار. **وكان شعر أدونيس تطبيقا لآراء سعادة وأفكاره.**

ومع ذلك، فإن رجاء النقاش يقرر بأن خلافه الكامل مع أدونيس القومي السوري لا يمنعه من القول بأنه من الناحية الفنية شاعر موهوب، ولكنه للأسف اختار أن يسير في **طريق مسدود**، يؤدي به إلى **كراهية بلاده والتآمر عليها**. طريق كل أحزانه زائفة، وكل أفراحه وأحلامه زائفة أيضا.

* * *

(أدونيس) يتحرك بهذا الميراث التاريخي فيعظم (قرطاجة) أو قرطاجنة، ويشيد بدورها التاريخي الذي صنعه الفينيقيون:

(أحلم أن شفتي جمرة
أخالها قرطاجة العصور
كل حجر شرارة
والطفل فيها حطب- ذبيحة المصير).

ويحلم أدونيس بعودة (فينيقيا) عودة سعيدة، ولكن الواقع يشعره بالحزن الذي يدفعه إلى الندب والعويل:

(فينيق إذ يحضنك اللهيب
أي قلم تمسكه؟.
وحينما يغمرك الرماد، أي عالم تحسه؟.
وما هو الثوب الذي تريده- اللون الذي تحبه)؟.

الحنين إلى فينيقيا، والرغبة في إعادتها إلى الحياة وبعثها وإنقاذها من الموت، تلك هي الثورة التي يحلم بها أدونيس، **وقد أدرك الاستعمار قيمة هذه الفكرة فوقف وراءها وساندها، وهي في حقيقتها كما يقول (النقاش) جزء من (الثورة المضادة) للعروبة، والتشكيك في سلامتها.**

لقد استمر أدونيس في انزلاقه- كما يقول النقاش- حتى وصل آخر الأمر إلى الحقد على العرب ومصر وكراهيتها بعنف لأنها أصبحت- يومئذ- مركزا للثورة العربية، واقتربت كثيرا من تحقيق الوحدة العربية، بعد أن كان الأمر مجرد احتمال بعيد المنال، وهو في شعره لا يكف عن ترديد النغمة القائلة بأن المصريين فراعنة، ويقول في بعض نثرياته:

(بلادي امرأة من الحمى، جسر من الملذات، يعبره الفراعنة، وتصفق لهم حشود الرمل- يقصد العرب-).

ولا يفتأ يردد هذا المعنى في كل مناسبة بصورة أو أخرى.

ويرى (النقاش) أن القوميين السوريين وقعوا في أزمة كبيرة حين وقعوا في تناقض كبير بين ما يريدونه، وما يعلنونه. ويلخص أدونيس الأزمة في البيتين التاليين:

الحنين إلى فينيقيا، والرغبة في إعادتها إلى الحياة وبعثها وإنقاذها من الموت، تلك هي الثورة التي يحلم بها أدونيس، وقد أدرك الاستعمار قيمة هذه الفكرة فوقف وراءها وساندها، وهي في حقيقتها كما يقول (النقاش) جزء من (الثورة المضادة) للعروبة، والتشكيك في سلامتها.

(يا شمعة المستقبل البعيدة
ما لي أخاف الطرق القصيرة).

والبيتان تصوير بارع لنفسية الشاعر ونفسية الأدباء الذين ينتمون إلى اتجاه القوميين السوريين. إن عقدتهم الكبرى هي أنهم يكرهون الطرق القصيرة الواضحة إلى الحقيقة، ويبحثون عن الطرق الملتوية المنحرفة، فقد أصبحت لذتهم الكبرى هي المغامرة، هي لذة الاختفاء عند المجرم القاتل الذي يطارده القانون.

وأدونيس يستخدم أسطورة (الفينيق) ليؤكد بها معنيين هما:

أولا: الموت والاحتراق، فقد مات فينيق واحترق.

ثانيا: البعث والتجدد، فقد بعث فينيق وتجدد. وهو يقف طويلا عند المعنى الأول فيملأ قصيدته بالعويل والدموع، ويدعو أخيرا إلى التجدد والبعث من رماد الحريق، **حيث تعود الحضارة الفينيقية إلى سورية، وهي فكرة سياسية، غير فكرة الحياة والتجدد التي تشير إليها الأسطورة.**

فينيق تلك لحظة انبعاثك الجديد.
صار شبه الرماد، صار شررا ولهيبا كواكبيا.
والربيع دب في الجذور، في الثرى.

أزاح رمل أمسنا العجوز والثلاثة: الركام والفراغ والدجى.

وقد تبع (أدونيس) في أفكاره الشعوبية عدد من الأدباء، منهم زوجه **(خالدة سعيد)**، وصديقه **(أنسي الحاج)**، والأديب **(سعيد تقي الدين)** الذي كان يبشر بمستقبل كبير في الأدب، ولكن انضمامه إلى القوميين السوريين، جعله يتحول إلى **مخلوق آخر، يترك الأدب، ويحصن بيته بالمدافع، متوهما أنه مهدد بالقتل، ووقف على حافة الجنون**، حتى مات على طريق القوميين السوريين في الأدب.

* * *

ويرى (النقاش) أن هناك بعض المخدوعين الذين انساقوا وراء أدونيس وأفكاره، ولم يدركوا غاياته الحقيقية، وهي الحقد على العرب ومصر، والوحدة العربية.

(أيها الشاعر الكبير إني أرفضك)!.

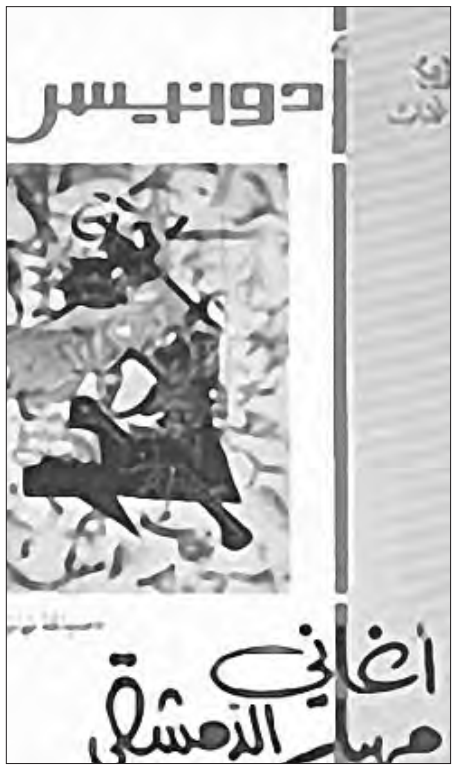

كانت هذه هي الصيحة التي أطلقها رجاء النقاش بعد ربع قرن تقريبا في وجه (أدونيس) **عندما زار مصر عام 1988، واستقبل بحفاوة كبيرة** من أجهزتها الثقافية ومؤسساتها الفكرية، ويقول (رجاء): إنه لم يشأ أن يفسد (العرس) الذي أقامته مصر للشاعر (أدونيس) في كل مكان. ويرى أن الطبيعة العربية المصرية في معاملة الضيوف شيء ثمين يجب الحرص عليه وعدم التفريط فيه، خاصة إذا كان هؤلاء الضيوف عربا، لكنه مع ذلك لا يحب أن تقترن رحابة الصدر وسماحة النفس وكرم الضيافة بأي نقص في المعرفة بحقيقة الأمور، وهو ما يمكن أن ينتهي إلى شيء من الغفلة وقلة الإدراك.

ويعيد (رجاء) التأكيد على إيمانه الشديد بموهبة أدونيس الفنية والفكرية، وتقديره لها وإعجابه بها، ولكنه في الوقت نفسه **لا يستطيع أن يتجاهل مواقف أدونيس المبدئية وآراءه المختلفة، وإخفاءه لتاريخه الذي ما زال يؤثر عليه، وسوء ظنه بالقضايا الأساسية التي تهم مصر والوطن العربي كله.**

ويكشف **(رجاء النقاش)** في موضوعه عن تناقض **أدونيس** وتصرفاته الصغيرة حيال الدعوة المصرية التي وجهت إليه للمشاركة في معرض القاهرة الدولي للكتاب، حيث رفضها متعللا باتفاقية (كامب ديفيد) التي وقعتها مصر مع العدو الصهيوني عام 1978، **والغريب أن أدونيس حضر على نفقته بعد معرض الكتاب بخمسة شهور، ليكون في ضيافة أحد أصدقائه، ويدلي بأحاديث عديدة لمجموعة من الصحف والمجلات المصرية.** ويصف (رجاء) هذا الموقف بأنه (رخيص وتمثيلية ضعيفة مهلهلة ونفاق لا يليق بشاعر كبير). ثم يناقش موضوع (كامب ديفيد) ويراه مرتبطا بموقف **الأمة العربية التي ما زالت ترفض قبول التطبيع، وتملك الموقف الحاسم في هذا الأمر.** ويستعيد (رجاء) موجزا لتاريخ أدونيس وانتمائه للحزب القومي السوري، ويشير إلى إخفائه أول دواوينه (قالت الأرض- 1954) الذي أهداه إلى أنطون سعادة، رئيس الحزب، بعد أن ضمنه قصيدة طويلة في رثائه بعد إعدامه عام 1949، **توحد بينه وبين الوطن:**

(قيل: كون يبنى فقلت: بلاد
جمعت كلها فكانت: سعادة).

ثم يشير (رجاء) إلى محاربة أدونيس للوحدة المصرية السورية، وإصداره لكتابه (الثابت والمتحول) الذي يطعن في الثقافة العربية حيث يتهمها بأنها لم تعرف التجديد والتطور والنهضة إلا على يد أصحاب المذاهب الباطنية. ويشير (رجاء) إلى الفوضى الفكرية التي يريد **أدونيس** أن ينشرها في ثقافتنا المعاصرة، **وتمتد إلى أمور لا يجوز الاقتراب منها بغير معرفة واسعة دقيقة، وميزان فكري شديد الحساسية والأمانة.** وها هي بعض النماذج التي جاءت في الجزء الأول من كتاب **(الثابت والمتحول)**، يقول فيها أدونيس:

-1 (لم يغير الإسلام طبيعة النظرة إلى المرأة كما كانت في الجاهلية، أو طبيعة العلاقة بين الرجل والمرأة، واكتفى بأن نظم هذه العلاقة وجعل لها قانونا، وجعلها تتم وفقا لطقوس معينة. فالحب في الإسلام بقي كما كان في الجاهلية حسيا، ولذلك من الأفضل الاقتصار على استخدام لفظة الجنس دون الحب. فالحب في الإسلام جنس في الدرجة الأولى) ص. 226.

-2 (الإنسان مجزأ في الإسلام إلى جسد وروح وعقل، ومن هنا يصعب فهم وحدته، وفهم الوحدة بعامة) ص. 227.

-3 (العربي المسلم لا تهمه المرأة، بل تهمه النساء، وهو لا يهمه أن يحبهن، بل يهمه أن يمتلكهن) ص. 227.

-4 (القرآن يعتبر النفس كتلة من الغرائز والأهواء، وهو يضع لها قانونا يسمو بها ويصعدها، ولهذا أبقى عليها كما كانت في الجاهلية، لم يحاربها ولم يقتلها، وإنما هذبها وصفاها، فليست هناك حبيبة في القرآن، بل زوجة، وليس فيه حب بل جنس، وصورة المرأة فيه هي صورة الزوجة، والزواج متعة جسدية من جهة، وإنجاب من جهة، ومن هنا تقترن صورة الزوجة بصورة الأم) ص. 227.

-5 (ينسجم الحب القرآني مع الحب اليوناني الوثني، ويمكن أن نصف الحب القرآني بأنه امتلاك جسدي من أجل القضاء على الشهوة التي هي رمز للشيطان. فالمهم هو إشباع الشهوة، وتسهيل هذا الإشباع) ص. 228.

-6 (الحب في القرآن قرار أو علاقة يقررها الرجل، وعلى المرأة أن تخضع. فليست الغاية الحب، بل التيه الجنسي، وهذا مما فصل الحب عن العمل واللغة) ص. 227.

ويمتلئ الكتاب بكثير من هذه الأخطاء العلمية الفاحشة، وينطوي في داخله على دعوة صريحة إلى التمزق والطائفية ومحاربة وحدة العرب شعبا، ووحدة المسلمين دينا، مع الدعوة إلى الإعلاء من شأن المذاهب الباطنية بوصفها مصدرا للقوة الفكرية والتجديد والأسس الصحيحة للعلاقات الإنسانية المفقودة تماما عند الأغلبية العربية والمسلمة في نظر أدونيس.

ويتهم رجاء الكتاب وما جاء فيه بالخطأ والدجل من الناحية العلمية، وتفسير النصوص بنية سيئة وضمير شديد الالتواء. وللدين رب يحميه، ثم علماء أصلاء يستطيعون الدفاع عنه **بالعقل والحجة والبرهان.** ويؤكد (رجاء) في نهاية موضوعه صيحته التي جعلها عنوانا له: **(أيها الشاعر الكبير إني أرفضك!.)**.

وكان طبيعيا أن يكون هناك من يتبنى **(أدونيس)** ويرسخ أقدامه، ويجعل له نفوذا

كبيرا في الساحة الأدبية الثقافية لدرجة جعلت (رجاء النقاش) يعلن أن يواجه رجلا **يملك أسلحة كثيرة وغزيرة ومتنوعة وسهلة الاستعمال بإشارة منه**، وأنه يملك محاربة (رجاء) والوقوف ضده في الصحف والمجلات والمؤسسات الثقافية التي له صلة بها وتأثير عليها. **ولكن هذا لا قيمة له عند (رجاء)، فيكفيه أن يجد في مصر ورقا يكتب عليه، وقلما يكتب به، وصحيفة ينشر فيها آراءه بحرية واستقلال.**

وعندما يعلن (أدونيس) عداءه لمصر، ويسجل ذلك في أدبه وكتاباته الفكرية، **ويسمي المصريين (غربان أفريقيا الجائعة) محذرا منهم، ومن دورهم العربي**، فهنا ينبغي التصدي له، ليس من أجل مصر وحدها، ولكن من أجل الأمة العربية كلها. **والتاريخ القديم والتاريخ الحديث، يؤكدان ارتباط مصر بأمتها في السراء والضراء، والحوادث خير شاهد على ذلك.**

ويؤكد **(رجاء النقاش)**، أنه ليس من هواة المعارك والحروب، وليس أقرب إلى قلبه من حياة السلام والهدوء، ولكنه في الوقت نفسه لا يطيق صبرا على هؤلاء الذين **يشعلون نار الفتنة في الأرض العربية**، ويقدموننا جميعا ضحايا على مذابح الأعداء، ويريدون بالغرور وسوء النية، ووفرة الإمكانات والمساعدات التي يملكونها أن يضعوا أحذيتهم فوق رؤوسنا، دون أن يعلموا أننا نستطيع أن نقف في وجوههم.

لا نريد بهم شرا، **ولكن نريد أن نبعد شرورهم عنا، ولا أدري ماذا يبقى لنا إذا استسلمنا لهؤلاء الذين يعملون على تمزيق الوطن إلى أوطان عديدة متصارعة؟.**

كان (رجاء) يأمل أن يصدر كتابا يعمل فيه منذ فترة تحت عنوان **(جناية أدونيس على الثقافة العربية)**، ولكنه لم يجد وقتا ليتمه، فقد شغلته الصحافة وقضايا أخرى، **بيد أنه أصدر كتابا مهما اسمه (الانعزاليون في مصر)، رد فيه على نفر من الكتاب المصريين الكبار، الذين رأوا أن مصر ينبغي أن تعيش لنفسها وشعبها دون أن تلقي بالا إلى ما وراء الحدود، وأن تعلن الحياد مثل (سويسرا) حتى تنعم بالرخاء والسلام.** ويأتي هذا الكتاب استكمالا لفكرته التي عارض من خلالها **(أدونيس)** والشعوبيين في العالم العربي، فقد كان (رجاء) **يؤمن أن الوحدة العربية الحقيقية هي الطريق الحقيقي لبناء الأمة العربية ونهضتها واستقلالها.**

* * *

وفي كل الأحوال، يبدو أن الأحداث كانت في صف **(أدونيس)**، وعلى عكس ما تمنى (رجاء النقاش)، فقد **أثمرت جهود التمزيق والتفتيت**، ونشأت كيانات جديدة لها صفة الأمر الواقع داخل الأوطان العربية. **وبدلا من توحيد الأوطان العربية، صارت هذه الأوطان نفسها عرضة للضياع، بحكم النزعات العرقية والطائفية والمذهبية**، وما يجري في السودان والعراق ولبنان والمغرب وغيرها خير شاهد.

لقد كان **(أدونيس)** الأقدر على مخاطبة نقاط الضعف، لدى العديد من النخب والشباب، واستطاع أن يستثمرها جيدا بذكائه الحاد وتمكن في نهاية الأمر من فرض إرادته في الواقع الثقافي تحت **مسميات براقة خادعة مضللة**، ومن منا لا يوافق مثلا على مصطلحات مثل: الرفض والثورة والحداثة؟. إنها مصطلحات تجذب كل قلم يسعى إلى الإصلاح والتقدم ولكن أي رفض وأية ثورة وأية حداثة؟. **لقد كانت هذه المصطلحات كلها تصب في خانة رفض العروبة والثورة على الدين، والحداثة بالمعنى الأوروبي الذي يعني القطيعة مع الماضي بكل ما فيه ومن فيه**، وقد تجلت معطيات ومقولات (أدونيس) بصورة أكثر وضوحا في مجلته (مواقف) التي صدرت عام 1968، عقب الهزيمة السوداء.

ويوم عاب **(رجاء النقاش)** على **(أدونيس)** رفضه لزيارة القاهرة عام 1988، بدعوة من الحكومة المصرية، أو وزارة الثقافة فيها، **ثم حضوره إليها بعد خمسة شهور على حسابه الخاص**، متعللا بموقفه من اتفاقية (كامب ديفيد)، **لم يكن يعلم أنه سيغير موقفه من هذه الاتفاقية بزاوية مقدارها 180 درجة، ويصير من كبار أنصار الاستسلام للعدو**، ويشارك في اجتماعات دولية (برشلونة مثلا)، لوضع صيغ محتملة لما يسمى بالسلام بين العرب والغزاة. **وقيل إنه كان مدفوعا برغبته في الحصول على جائزة (نوبل) في الأدب**، حيث يتردد اسمه كل عام في الصحافة العربية ضمن المرشحين لها، ولكنه حتى هذه اللحظة لم يظفر بها، وإن كان من المؤكد أن ما يكتبه أسبوعيا أو دوريا يقف في صف الغزاة الذين يحتلون فلسطين، فهو مثلا **يرفض عمليات المقاومة، ويراها أعمالا وحشية بربرية، ويرى أننا نظلم الغزاة حين نضعهم جميعا في سلة واحدة، ويطالب أن نفتش في أعمالهم عن الكتابات الإنسانية**، وأن ننظر إليهم بموضوعية، فلا نعاديهم، ولا نبتعد عنهم!.

هل كان (رجاء النقاش) يغرد خارج السرب حين وقف ضد أدونيس بوصفه مثلا لاتجاه معاد للأمة وفكرها وأدبها، فضلا عن دينها؟.

وهل تعني **هزيمة الأمة** وانتصار (أدونيس) أن **العرب لن ينهضوا من جديد؟.**

من المؤكد أن **الدنيا لا تدوم على حال**، ورحم الله رجاء النقاش.

هذا المقال يثير قضايا خلافية عديدة. و(الميثاق) تنشره نقلا عن مجلة (وجهات نظر) القاهرية، من دون أن يعني ذلك أنها تتبنى كل الأفكار الواردة فيه.

الشاعر متقمصا شخصية الأب المتعالي

بشير مفتي

قرأت **باستمتاع كبير** الحلقات الخمس من الحوار الذي أجراه الشاعر والصحافي **عبده وازن** مع الشاعر الكبير **أدونيس**، ومع ذلك لم يمنعني الاستمتاع من **الامتعاض** في بعض الأحيان أو من التساؤل في أحيان أخرى عن جدوى بعض المواقف والآراء التي أدلى بها شاعرنا الكبير في صدد بعض **الشخصيات الشعرية والأدبية**، وبالخصوص ما قاله عن الشاعر الفلسطيني الكبير محمود درويش.

وبالطبع لكل شاعر الحق في أن يكون له **رأي** في شعرية هذا أو ذاك، **وموقف مما** يكتبه **ونظرة نقدية** إلى نصوص الآخرين. لكن ما قاله **أدونيس** جعلني أشعر أنه تجاوز هذا الحد، تجاوز تقديم رأي خاص به في شاعر آخر إلى نوع من **المحاكمة** لحساسية شعرية مختلفة عنه، **شعرية لم تذهب في الاتجاه الذي ذهب إليه أدونيس، أو لم تسقط بوعي كبير في ما سقط فيه المقلدون والذين ساروا في طريق المحاكاة أكثر مما راهنوا على سبل أخرى في الكتابة الشعرية المغايرة.**

لم يختر **محمود درويش** طريق **أدونيس**، أي طريق مجلة **(شعر)** التي كانت **تراهن على نوع واحد من الحداثة الشعرية العربية**، أو على توجه معين في تحديث الشعر العربي، واختار رهانا آخر، طريقا مختلفا، لا أحد في مقدوره اليوم أن يقول عنه إنه طريق خاطئ

محمود درويش

لأنه أعطى تجربة أخرى، أو لنقل **حساسية** مختلفة في **فسيفساء الحداثة العربية**. وبالتالي تمكن **درويش** مثلما تمكن آخرون من **شق** طرق متعددة **وتعبيد** سبل أخرى لهذه الشعرية لئلا تسقط الحداثة في **مركزية الواحد الشعري**، في سلطة الخيار الواحد، **خيار القصيدة الحداثية المغلقة على نفسها**، أو التي تعيش فقط **داخل** التجربة الشعرية ذاتها وليس **خارجها** فقط، أي **الشعر** كلوحة متنوعة فيها ما يطرب الأذن وما يفتح الرؤية على مداها الواسع. **واللغة** على خياراتها المتعددة والمختلفة.

وإننا إذ حاولنا أن نقارن التجربة الشعرية لبعض شعراء الحداثة العربية بتجارب شعرية أخرى من **فضاءات ثقافية مغايرة لنا**، فيمكننا أن نجد هذا التنوع **الثري** والمتعدد والذي هو **مكسب** لها بالفعل. وكقارئ لا غير، **قارئ يحب الشعر**، ويدافع عنه، ويعتبره **ميراثه الروحي العميق**، أعتقد بأنني إذ أن لكل شاعر سواء كان أدونيس أم درويش، **خصوصيته** التي لا تلغي **فرادة الآخر** وأهميته وقيمته الشعرية. ولعلي هنا **أسمح لنفسي بأن أقول بأن ما أثار امتعاضي هو انطلاق أدونيس من موقف استعلائي بعض الشيء يجعله يصدر تلك الأحكام كما لو كان يملك حقيقة الشعر نفسه، أو كما لو كان الأب الذي منه تنطلق الحقيقة وإليه تعود، ولم يسلم من أحكامه إلا القلة القليلة، فالكل محل نقد شرس ولا يرحم.**

اختار الشاعر **عبده وازن** طريقة الحوار المباشر أي التي تجعله يفوز بأكبر قدر ممكن من الآراء والإجابة على لسان الشاعر **أدونيس**، كما كان يمكنه أن يختار طريقا آخر للحوار، فيدخل الاعتراض والنقاش، وبالتالي تكون ربما مواقف **أدونيس** نسبية بعض الشيء، لكن هذا خيار صحافي وليس كما ظهرت **إطلاقية** في معظمها. مواقف تقول نظرتها للشعر كما لو أنها **النظرة الوحيدة والأخيرة**، تلك النظرة التي تحتاج اليوم إلى طرح أسئلة عليها، ولكن من منظور آخر وبصورة تخرج الشعر **من أفق واحد، وتفسير أحادي**، نحو ما يعتبر **فسيفساء الشعر العربي الحديث.**

ما قاله الشاعر الكبير **أدونيس** عن **محمود درويش** على أنه **صديق كل الأنظمة**، لا أدري أين أضعه هل في خانة النقد **السلوكي والأخلاقي؟**. وهنا نعرف جميعا بأن كل شعرائنا **متورطون** في شكل أو آخر مع هذا النظام أو ذاك، أو أن ذلك هو نتاج تعقد السياق الثقافي العربي المعاصر الذي يجعل **الثقافي غير معزول عن السياسي**، أو متداخلا معه في أكثر من طريق، في أكثر من صورة. وليس هنا مجال للتدليل على ذلك، ويكفي أن نقرأ ما كتبه الشاعر **سعدي يوسف** عن **أدونيس** في سياق آخر. **وبالتالي يظهر لي أنها أحكام أخلاقية لا مبرر لها، قد لا يكون مصدرها الشعر والشاعرية، بل ما سماه وازن ذات يوم في إحدى مقالاته بالعداوة الأدبية.**

يبقى الحوار مع ذلك **مهما** على مستويات عدة، ويصلح كما قال شاعر مهم آخر هو أنسي الحاج، **للتأريخ الأدبي للحداثة الشعرية العربية المعاصرة.**

AL MEETHAK
حزب الاتحاد الاشتراكي العربي
ISSUED BY THE ARAB SOCIALIST UNION PARTY-Damascus-Tel:+963113315403 Fax:+963113315402/Issue No.409/22 January 2019

كلمات في بعضٍ من (أدونيس)

صفوان قدسي

اليوم الرابع عشر

(1)

لأن **أدونيس** هو الذي **فتح النار على العروبة**، ساعيا إلى التمكن من إصابتها **بأذى أو ضرر**، فقد صار من حقنا أن نكيل له **الصاع صاعين**، وأن نعمل بالآية التي تقول: **(وإذا حييتم بتحية، فحيُّوا بأحسنَ منها، أو ردوها)**.

وإذا كنا، نحن في صحيفة **(الميثاق)** قد صمتنا طويلا وسكتنا عن **الأفكار المريبة** الذي سعى إلى إشاعتها في حياتنا، فإن ذلك كانت له **دواعيه وأسبابه**، وفي المقدمة منها موقفه مما سمي **الربيع العربي**، وتعامله مع **الحربِ على سورية** بحسبانها حربا لها **مُخطط، وخلفها مُدبِّر**، ويراد لها أن تتمكن من **تدمير سورية**، فيما جذره **الفكري والسياسي** يمتد عميقا في **أغوار احتساب سورية كيانا مقطوع الصلة، ومنتزع الجذور، من محيطه العربي، ومن انتمائه القومي**، ليس بالمعنى **السوري** الضيق، وإنما بالمعنى **العروبي** الواسع والشامل.

(2)

ولقد تابعت باهتمام **لافت**، الحوارات الستة التي أجرتها معه قناة **(الميادين)**، تعللا مني بأني قد أضيف إلى معلوماتي عنه وعن أفكاره وتجربته الثرية، لكن ما وجدته أمامي هو **(أدونيس)** منذ نشأته الأولى، إلى ما هو عليه الآن، من دون **إضافات** يمكن احتسابها **تطويرا** أو **تعديلا** أو حتى **تصويبا** لما كان عليه

على مدى سنوات عمره التي تطل على **التسعين**.

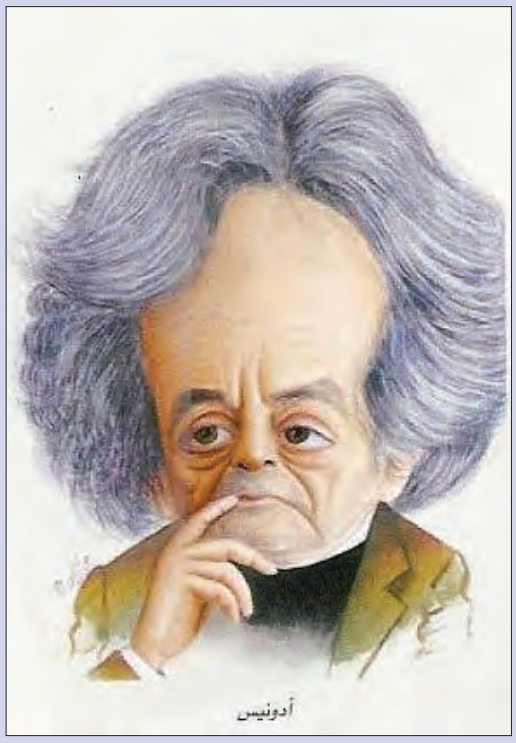

(3)

هذا الكلام كله هو مجرد **مقدمة** طويلة، **واستهلال** مسهب، لما قاله **(أدونيس)**، في برنامج **(ما بعد العرض)** من أنه لا يرى **ضرورة** لأن ينص **الدستور**، على أن تبقى **سورية** حاملة **لهويتها العربية** من خلال اسمها الرسمي **(الجمهورية العربية السورية)**، وأنه يرى أن **تشطب** كلمة العربية **وتمحى**، ضاربا على ذلك أمثلة ارتكب فيها **خطأ فادحا**، ومثال ذلك **استشهاده** باسم **الدولة المصرية** حين قال إنها **(جمهورية مصر)**، متغافلا عن أن وصفها **بالعربية** جزء مكمل لجمهورية **مصر**، حين لم يجرؤ السادات على حذفها.

(4)

وما زلت أذكر كيف أن **بعضا من شارك في وضع الدستور الحالي** عام 2012، حاول شيئا من هذا القبيل، وهو **انتزاع صفة العربية من اسم الدولة السورية**، لكن هذه المحاولة سرعان ما **قبرت في مهدها**.

ثم إنه كيف لسورية التي استشهد الرئيس **بشار الأسد** بكلام قاله **جمال عبد الناصر** بعد انفصال سورية عن **الجمهورية العربية المتحدة**، وهو أنها **قلب العروبة النابض**، أن ينتزع منها هذا **القلب** بعد أن نكون قد انتزعنا من اسم الدولة السورية، **صفتها العربية**؟.

ثم هل هؤلاء **المتفيقهون** على **علم ودراية** بأن عددا من الدول العربية، بصرف النظر عن رأينا في بعض منها، **أبقى الهوية العربية على اسم دولته**؟.

(5)

إنها **لعبة خطرة وخطيرة** أيها السيد **(أدونيس)**، وهي لعبة من شأن لاعبيها أن **يحرقوا أصابعهم وأوطانهم بالنار**، هذا إذا ما كان لهم، في الأصل والأساس، وطن ينتمون إليه، فيما هم **مقيمون** في هذا **الصقع** أو ذاك من **أصقاع** الأرض، وقد طال انتظارهم لجائزة **(نوبل)** التي يبدو أنهم ليسوا بها **جديرين**، وليسوا لها **مستحقين**.